

## المصباح الكهربائي، بين التجريد والتطبيق رحلة ألف عام! المفهوم عربي والتنفيذ غربي

قيل عن الشعر العربي أنه ديوان العرب. أقول بكل تأكيد، ونثرهم كذلك. فالكثير ممّا تناهى إلينا عن أحوال عرب الجاهلية، وعن أخبار نسلهم المحدثين، رصدها شعرهم ونثرهم بحرفية قلّ مثلها. هما الشاهد على عصر خلا من كلّ تاريخ وتوثيق إلا من حافظه شعبية، شعرية ونثرية، حصنت هذا التاريخ وحمته من قضم النسيان. إذا كان الأمر كذلك، فإليكم هذه الفارقة.

قرأت في ذرة تاج كتبهم، في نفيسة خزانهم، المنصوص التالي " مثل نوره كمشكاة فيها مصباح. المصباح في زجاجة. الزجاج كأنها كوكب دري. يوقد من شجرة مباركة. زيتونه لا شرقية ولا غربية. يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار. نور على نور". تفكرت ملياً في الشكل، في الصورة المرسومة بالحرف، ونحيت جانباً المجاز وإن علا هذا الأخير وغلا.

هنا، نجد وصفاً بديعاً لمنبع ضوئي ليس كغيره ممّا ألف ناس ذلك الزمان. سواءً اختبأ مصدر الضوء هذا في كوة في جدار أم ترتب على رأس عمود خشبي لا فرق، فنوره باهر وقادر. أحاطه مبدعه ببناء زجاجي شفاف للضوء يحمي جذوته من عبث الريح وفضول المتطفلين. لكنّه في الوقت نفسه يسمح، أي الغطاء الزجاجي، لشعاع النور أن ينفذ لطيفاً من مادته فيجلي العتمة. يضيء المكان.

مهلاً! جذوة مضيئة بغلفها زجاج شفاف؟ لم تعرف الإنسانية تشكيلاً مادياً مشابهاً من مادة الزجاج إلا في عصر النهضة الأوروبية على ما أزعّم\*، أي بعد رصف مفردات هذا البيان بأكثر من ألف عام. لا بأس عليّ وعليك. تعال لا ندع قضية الزجاج تخدش ما بيننا من مودة. دعنا من الشكل وليكن الجوهر مسألتنا الخلافة. وقود المصباح ومصدر الطاقة الملهبة لجذوته المضيئة، فيه يكمن الفرق كل الفرق.

هو زيت ليس كباقي الزيوت، أو هو شبيه الزيت ربّما. يتقاطع معه في الوظيفة فقط، لا في الطبيعة المادية. كلاهما ينتج نوراً لكن باليتين متباينتين جداً. النار أساس عمل الزيوت إذا أرادت ضياءً، أمّا هذا الذي نصفه فشيء آخر. يضيء بلا نار، بلا اشتعال. هو وقود لكن ليس ممّا اعتاد الناس حينها. استخرج من شجرة سحرية لا وجود لها في مشارق الأرض ومغاربها. شجرة من عالم آخر، عالم افتراضي، بناه خيال هذا المصور المبدع. بهذا، يضيف المصور عنصراً إضافياً للدلالة على تفرّد هذا الوقود في الاثنين؛ الطبيعة المادية والمصدر كذلك. كأنه أراد القول أنه ليس زيتاً، ولا يستخرج من الشجر كما تتوهمون. مع ذلك هو وقود لمصباحكم الذي سيكون، وطاقة لجذوته لا تعادلها طاقة ممّا تعدون.

آله النور هذه عصية على العقول أن تحيط بها في ذلك الزمان. فأخذها المصور المبدع إلى وصف آخر تلتطفاً بالناس أن تلبسها الحيرة. مقارنة غير المألوف إلى المألوف ممّا يجري على لسان الناس وصفة ناجعة لتجنب رذود الأفعال السلبية. فتتسلّ بذلك مجازات المعنى إلى عقول الناس من غير فجاجة. تأتيهم الجرعة الأولى من المعنى حالاً، فتتقضي بها غابته العاجلة. وترجأ الأجلة منه يستنهض بها الناس لاحقاً في زمن قادم قد يكون بعيداً نسبياً.

لن أذهب أبعد من ذلك في الاستقراء، ولا في الاستدراج. لا بدّ وأنك توصلت باكراً إلى حقيقة ما أرمي إليه. سأترك لك أن تضع بذاتك الاستنتاجات والخلاصات. فالتصّ قرآني، والمصور المبدع هو البارئ جلّ وعلا. أراد وصفاً لنوره العظيم أو مقارنة له ممّا يسهل علينا نحن البشر تدبّر الأوصاف والمعاني، على أدقّ التعبير.

جاء الوصف على ما يحبّ الناس رؤيته (كأنها كوكب دري)، ويسهل عليهم تمثله (مثل نوره كمشكاة فيها مصباح)، وتُسلي القارئ أحجيتّه فينشغل في فكفكة المفردات وتركيب الدلالات وقرنها مع ما في مخزونه من صور (كمشكاة فيها مصباح. المصباح في زجاجة. الزجاج كأنها كوكب دري). ثم تأتي بعدها

العوالم الغيبية السحرية مما يتهيب الناس، وتجعلهم أسارى الجلالة والغموض (بوقد من شجرة مباركة.  
زيتونة لا شرقية ولا غربية. يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار. نور على نور).

هذا غيض من فيض المعاني. هذا ظاهرها، وبعض باطنها. فالصورة الكليّة حميمّة، جاذبة للناس في كلّ زمان.  
لكن، أما من معنى آخر يحتجب في بطون المفردات؟ أما من مستتر يستبطن كلّ هذا اللبس؟ أما من دلالة  
أو إشارة لمحدث لا بدّ أت في قادم الأيام؟ أليس في ذلك كلّ ما يُلقى الشبه والشبهة على بعض ما عندنا  
مما نبذد به ظلام ليلينا؟ تفكّر ملياً، لا تعجل الأحكام. وتدبر المعاني والصور فخبياها عظيم.

كوكب دري يضيء بزيت سحري من شجرة أسطورية، محبوبك صورة ولا أحلى. المعروض أسراً أخذ بما يكفي  
ليغمّر النفس بفيض النور الإلهي. وهو غامض بما يكفي أيضاً ليثير التساؤلات ويطحّر الشبهات. فلا تقنع نفس  
بما أوحى به ظاهر الوصف. فهناك، فيما وراء الدهشة البصرية، يهجع الذرّ وتغفو المعاني الأسرار.

\* لم يعرف العالم مشابهاً قبل القرن الثامن عشر الميلادي على ما انتهى إليه بحثي المطول في هذا الميدان.

## في سياقات مختلفة، أنصح بقراءة المقالات التالية:

- [هل يفيد التداخل الجراحي الفوري في أدّيّات النخاع الشوكي وذيل الفرس الرضوية؟](#)
- [النقل العصبي، بين مفهوم قاصر وجديد حاضر](#)

### [The Neural Conduction.. Personal View vs. International View](#)

[في النقل العصبي، موجات الصّغط العاملة Action Pressure Waves](#)

[في النقل العصبي، كمونات العمل Action Potentials](#)

[وظيفة كمونات العمل والتيارات الكهربائية العاملة](#)

[في النقل العصبي، التيارات الكهربائية العاملة Action Electrical Currents](#)

[الأطوار الثلاثة للنقل العصبي](#)

[المستقبلات الحسية، عبقرية الخلق وجمال المخلوق](#)

[النقل في المشابك العصبية The Neural Conduction in the Synapses](#)

[عقدة رانفييه، ضابطة الإيقاع The Node of Ranvier, The Equalizer](#)

[وظائف عقدة رانفييه The Functions of Node of Ranvier](#)

[وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الأولى في ضبط معايير الموجة العاملة](#)

[وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الثانية في ضبط مسار الموجة العاملة](#)

[وظائف عقدة رانفييه، الوظيفة الثالثة في توليد كمونات العمل](#)

[في فقه الأعصاب، الألم أولاً The Pain is First](#)

[في فقه الأعصاب، الشكل. الضرورة The Philosophy of Form](#)

[تخطيط الأعصاب الكهربائي، بين الحقيقي والموهوم](#)

[الصدمة النخاعية \(مفهوم جديد\) The Spinal Shock \(Innovated Conception\)](#)

[أدّيّات النخاع الشوكي، الأعراض والعلامات السريرية، بحث في آليات الحدوث The Spinal](#)

[Injury, The Symptomatology](#)

[الرّمع Clonus](#)

[اشتداد المنعكس الشوكي Hyperactive Hyperreflexia](#)

[تّساع باحة المنعكس الشوكي الاشتدادي Extended Reflex Sector](#)

[الاستجابة ثنائية الجانب للمنعكس الشوكي الاشتدادي Bilateral Responses](#)

[الاستجابة الحركية العديدة للمنعكس الشوكي Multiple Responses](#)

التنكس الفاليري، يهاجم المحاور العصبية الحركية للعصب المحيطي.. ويعف عن محاوره الحسية

Wallerian Degeneration, Attacks the Motor Axons of Injured Nerve and Conserves its Sensory Axons

التنكس الفاليري، رؤية جديدة (Innovated View) Wallerian Degeneration

التجدد العصبي، رؤية جديدة (Innovated View) Neural Regeneration

المنعكسات الشوكية، المفاهيم القديمة Spinal Reflexes, Ancient Conceptions

المنعكسات الشوكية، تحديث المفاهيم Spinal Reflexes, Innovated Conception

خلقت المرأة من ضلع الرجل، رائعة الإحياء الفلسفي والمجاز العلمي

المرأة تقرر جنس وليدها، والرجل يدعي!

الروح والنفس.. عطية خالق وصنعة مخلوق

خلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس.. في المرامي والدلالات

تفاحة آدم وضلع آدم، وجهان لصورة الإنسان.

حساء.. هذه

سفينة نوح، طوق نجاة لا معراج خلاص

المصباح الكهربائي، بين التجريد والتنفيذ رحلة ألف عام

هكذا تكلم ابراهيم الخليل

فقه الحضارات، بين قوة الفكر وفكر القوة

العدة وعلّة الاختلاف بين مطلقّة وأرملة ذات عفاف

تعهد الزوجات وملك اليمين.. المنسوخ الأجل

الثقب الأسود، وفرضية النجم الساقط

جسيم بار، مفتاح أحجية الخلق